دور المحتسب
في الحد من ظاهرة العنف
في الكتائيب في الحجاز
في العصر المملوكي
والدولة السعودية الثالثة
(دراسة مقارنة)

إعداد الدكتورة

فاطمة محمد حسن المباركى

أستاذ مساعد كلية العلوم والدراسات الانسانيه بالجبيل

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ﷺ وبعد...

المقدمة:

ترتبط نشأة التعليم الإسلامي ارتباطا وثيقا بظهور الإسلام والاهتمام بدراسة القرآن الكريم ولهذا الغرض ظهر منذ بداية العصر الإسلامي معهدان تعليميان أساسيان هما: الكتّاب والمسجد، فأخذا على عاتقهما تدريس القرآن الكريم ، والعلوم الشرعية والعربية الأخرى.

ونظراً لأهمية التعليم وأهمية المعلم ودوره الكبير في تنشئة جيل بأكمله، فقد تصدى عدد كبير من المؤرخين وعلماء التربية المسلمين في دراستهم ومؤلفاتهم لذكر الأسس والمبادئ الخلقية التي تقوم عليها مهنة التعليم وما تستدعيه من صفات خلقيه وشروط أساسيه وقدرات شخصيه ومواهب طبيعية ينبغي توفرها لدى المعلمين والمؤدبين.

فمنذ ظهور الإسلام والكتّاب حمل على عاتقه أمانة تعليم الأطفال الصغار القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، بالإضافة إلى الحساب والإملاء، وشاركه في حمل هذه الأمانة المسجد حيث أهتم بحلقات الدرس التي يعقدها العلماء لطلابهم، كالحلقات القرآنية وحلقات التفسير والتجويد وعلوم الحديث، والنحو والأدب وغيرها[١].

ومع انتشار الإسلام واتساع نطاق دائرته، انتشرت الكتاتيب في

(١) ابن دهيش: عبد اللطيف ، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٩.

أصقاع البلاد الإسلامية، وأصبحت من أهم مراكز تعليم الأطفال، وكان من يتولى تعليم الصغار في هذه الكتاتيب، يسمى معلماً أو مؤدباً، وعلى الرغم من الاختلاف بين المشرق والمغرب في تعليم الأطفال في الكتاتيب، إلا أن التعليم بشكل عام يبدو على وتيرة واحدة حتى مع اختلاف الطريقة[1].

مشكلة الدراسة:

ولقد كثر التأليف في أخلاقيات مهنة التعليم وآداب المعلمين والمتعلمين فعلى سبيل المثال لا الحصر (آداب المعلمين) للإمام محمد بن سحنون إضافة إلى العديد من كتب الرحلات التي كتبها بعض الرحالة الذين قدموا إلى مكة والمدينة بغرض الحج أو العمرة فسجلوا مشاهداتهم في هاتين المدينتين المقدستين.

كما فرضت الدولة عقوبات مناسبة لبعض السلوكيات المنحرفة التي قد تصدر من بعض المعلمين كإيذاء الأطفال والتعدي عليهم بالضرب المبرح.

لذلك أردت تسليط الضوء في بحثي هذا على (دور المحتسب في الحد من ظاهرة العنف في الكتاتيب في العصر المملوكي والدولة السعودية)

(٢) ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون،ط١٣٩٨،٤هـ،ص٥٣٧-٥٤٠.

في ضوء ما سبق يمكن أن تتحدد مشكلة الدراسة من خلال التساؤلات التالية:

١- ما هى الشروط الواجب توافرها فى المؤدب؟

٢- دور المحتسب فى معاقبة المؤدب الذى يعاقب التلاميذ عقاباً مبرحاً ويوقع عليهم الإيذاء الشديد؟

٣- ما هى أهمية الكتاتيب فى الحجاز فى العصر المملوكى والدولة السعودية؟

هدف الدراسة:

الهدف الأساسي لهذا البحث هو إبراز مسؤولية المعلم المسلم ودوره في تقديم التربية الإسلامية والأخذ بها كأساس لتطوير شخصية الأطفال فهم الثمرة.

الأولى للمجتمع فمتى ما أينعت هذه الثمرة وصلحت نتيجة لرعايتنا لها واهتمامنا بها صلح المجتمع بأكمله .

فالرفق ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وحفظه حد الاعتدال ولأجل هذا أثنى الرسول ﷺ على الرفق وبالغ فيه، ولقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تحث على الرفق واللين منها قوله تعالى: (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) "سورة آل عمران الآية ١٥٩". وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) "سورة النحل الآية ١٢٥"، كما وقف الحكام والخلفاء لهذه السلوكيات بالمرصاد فأضافوا إلى مسؤوليات المحتسب ومهامه مهام

جديدة كالأشراف على مؤدبي الكتاتيب ومراقبتهم، بل ومعاقبتهم في حال تعديهم على الأطفال بالضرب المبرح أو التجريح.

وهذا ما سأركز عليه في هذا البحث حيث سيتم تسليط الضوء على الكتاتيب وكيفية الدراسة فيها، ودور المحتسب في الإشراف عليها من اختيار المعلمين، ومراقبة سلوكياتهم ومعاملتهم مع الأطفال، وصلاحيته المطلقة في إنزال العقوبة على مؤدبي الأطفال الذين يقومون بضرب الأطفال وتعنيفهم وإيذائهم.

والجدير بالذكر إن الاهتمام بالكتاتيب سواء في مكة أو المدينة وغيرها من مدن الحجاز ظل مستمرا حتى بعد العصر المملوكي، حيث أصبحت الكتاتيب تابعه لمديرية المعارف العامة، وصدرت الكثير من الأوامر الملكية التي تنص على أهمية التعليم، ومراعاة طلاب العلم والتلطف معهم، وعدم التعرض لهم بالضرب، بل أوجدت الكثير من العقوبات التي من شأنها ردع الطلاب المخالفين بدون عنف أو إيذاء.

ونحن هنا لا نرفض العقاب، فمن أمن العقوبة أساء الأدب، ولكن نرفض العنف والتجرد من الإنسانية، ذلك العنف الذي قد يجعل الطالب يرفض التعليم أو ينسحب من الكتاتيب والمدارس ، ويفضل الجهل والهروب إلى الشوارع للعب والمرح على الدراسة.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال:

١- إبراز دور المحتسب فى الحد من ظاهرة العنف فى الكتاتيب

٢- توضيح دور المحتسب فى تنشئة جيل مسلم وغرز قيم التربية الإسلامية فى هذا الجيل.

٣- توضيح طرق العقاب من جانب المؤدب مع عدم وقوع إيذاء على الطلاب.

٤- وضع معايير لطرق التأديب وكذلك للمعلمين وعدم إيذاء الطلاب والتعدى عليهم بالضرب المبرح.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي وكذلك المنهج التاريخى الذي يقوم على التسلسل المنطقي للأفكار، و ذلك من خلال الوقوف على دور المحتسب فى الحد من ظاهرة العنف فى الكتاتيب فى العصر المملوكى والدولة السعودية.

مصطلحات الدراسة:

المحتسب:

هو الذي يقوم بالعمل الخيري تطوعا بغير مقابل. ولا يريد إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى. والحسبة هي وظيفة وأحياناً يطلق عليها الحسبة. كانت تقوم بتطوّع من الذين يودّون تطبيق القاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودون مقابل. أي انهم يقومون بها احتساباً لوجه الله .ومنها (محتسب). أو تطوعاً لوجه الله ومنها (المطوع) مصدر احتسابك الاجر على الله واحتسب فيه احتسابا والاحتساب طلب الاجر والحسبه في الاجر اي حسن التدبير والنظر فيه وهي نظام اسلامي من شأنه الاشراف على المرافق العامه وتنظيم عقاب المذنبين

العنف:

يتمثل العنف التربوي بسلسلة من العقوبات الجسدية والمعنوية المستخدمة في تربية الأطفال والتي تؤدي بهم الى حالة من الخوف الشديد والقلق الدائم والى نوع من العطالة النفسية التي تنعكس سلباً على مستوى تكييفهم الذاتي والإجتماعي.

الكتاتيب:

الكُتاب بضم الكاف، والجمع الكتاتيب، أصولها ترجع إلى أقدم العصور. وهو الأماكن الأساسية لتعليم الناشئة حفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة.

الكتاب: جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم القراءة والكتابة، وهو من المؤسسات التعليمية المهمة التي كان لها دور مهم وبارز في تثقيف الصغار، وتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة(١).

المؤدب: مؤدِّب : لقب كان يلقَّب به من يُخْتار لتربيةِ الناشئ وتعليمِه.

محاور الدراسة:

وتتمثل محاور الدراسة فى ثلاثة محاور وهى:

أولاً: شروط المؤدب ونظام التعليم فى الكتاتيب.

ثانياً: المحتسب ومهامه فى مواجهة ظاهرة العنف فى الكتاتيب.

ثالثاً: الكتاتيب فى العصر المملوكى والدولة السعودية.

(١) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر – بيروت ، ٢٠٦/١.

أولاً: الشروط الواجب توافرها فى المؤدب ونظام التعليم فى الكتاتيب:

نظراً لأهمية وظيفة المؤدب ودوره البارز في تنشئة جيل بأكمله، كان لابد أن تتوافر فيه صفات معينة وشروط دقيقة من أهمها:

١- أن يكون صحيح العقيدة، باعتبار العقيدة اللبنة الأولى، فإن صلحت صلح ما بعدها، لذلك وجب على الآباء فحص عقيدة معلم أبنائهم، فلقد نشأ صبيان كثيرون عقيدتهم فاسدة، لان فقيههم أو مؤدبهم كان كذلك(١).

٢- أن يكون من أهل الفقه والأمانة، حافظاً لكتاب الله(٢).

٣- مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، إذ عليه تعليمهم ما يطيقون تعلمه من القرآن الكريم أو الخط العربي، وذلك يكون في كل يوم من أيام الأسبوع عدا أيام الإجازة التي جرت العادة ببطلان الدراسة فيها، وهذا ما اشترطته إحدى وثائق الوقف المملوكية على المعلم أو المؤدب(٣).

---

(١) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، ط٢، مصر،١٩٩٣م، ص١٣٠.

(٢) ابن الإخوة، محمد بن محمد ، معالم القربة في أحكام الحسبة، ١٩٧٦م . ص ٢٦٠.

(٣) وهي وثيقة الأشرف شعبان، أنظر القحطاني: راشد أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٩٧.

نظام تعليم الأطفال في الكتاتيب في العصر المملوكي:

لقد أهتم الواقفون بنظام تعليم الأطفال الأيتام اهتماماً كبيراً وعناية بالغة، فقد حددت حجة وقف شاهين بن عبد الله الحسني[١]، وقت جلوس المؤدب والأطفال من الصباح إلى العصر على أن يختموا يومهم الدراسي بقراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب وأول سورة البقرة وآية الكرسي[٢].

كما أن مدة الدراسة مرهونة بمدى استعداد الصبي وقابليته للتعليم، وميوله، كما أخذ بعين الاعتبار بلوغ الصبي سن المراهقة وحد البلوغ مع مراعاة التدرج في التعليم والرفق والتلطف في تعليم الأطفال من باب مراعاة قدراتهم الخاطئة واستعدادهم لما يتقبلونه من المعارف والعلوم[٣].

ونظرا لتفشي بعض الانحرافات في مهنة التدريس كضرب الأطفال ضرب مبرح وتعنيفهم فقد حاول علماء التربية المسلمون والمؤرخون ذكر هذه الظواهر في دراستهم ومؤلفاتهم حيث شغلت أذهان الكثيرين منهم، فتناولوا الأسس والمبادئ الخلقية التي تقوم عليها هذه المهنة المهمة، كما وضحوا طبيعة مهنة التعليم. وما تستدعيه من صفات خلقيه وقدرات شخصية ومواهب طبيعية ينبغي توافرها لدى المعلمين، فكثر التأليف في أخلاقيات التعليم، وآداب المعلمين والمتعلمين، فكان أول مرجع علمي كتب

---

(١) هو شاهين بن عبد الله الحسني الطواشي، حج بالناس وولي نظر الببرسيه، توفي عام ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

(٢) حجة وقف شاهين الحسني الطواشي، رقم (٦٢) ، دار الوثائق القومية. انظر ملحق ١.

(٣) ابن مسكويه: أبو علي أحمد محمد، تهذيب الأخلاق في التربية، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٥٢-٥٣.

فيها (آداب المعلمين) لابن سحنون، ثم تبعه السبكي والغزالي وغيرهم[١].

ومن ناحية أخرى فرضت الدولة عقوبات مناسبة ورادعة لمثل هذا السلوك، ولكن قبل أن نتطرف لذلك لابد وأن نتعرف على أدوات العقاب:

١- **الفلكة**:

وتسمى الجحيشة أو المشلة، وهي خشبة طويلة أسطوانية بقدر طولها متراً تقريبا وهي من خشب الأثل وتكون مثقوبة من طرفيها حتى يوضع فيها الحبل الذي يربط مع الجهتين وترافقها المصطعة التي يضرب بها على رجلي الطفل[٢].

٢- **المصطعه**:

وهي عصا ملساء مستقيمة عندما يضرب بها المعلم تحدث صفيراً وتهفهف في الهواء، وتكون ملازمة للفلكة وتلف معها وتجعل خلف الطولة التي يقرأ عليها المؤدب أو المعلم[٣].

(١) ابن سحنون: ابو عبدالله محمد، آداب المعلمين ،١٣٩٢هـ، تونس،ص ٨٨ ؛ الغزالي: أبو حامد محمد، احياء علوم الدين ، الطبعه الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ص٩٠ ؛قمبر: محمود، مهنة التعليم في التراث العربي، ص١٩.

(٢) الفايز، عبد العزيز محمد: الكتاتيب في نجد قبل التعليم النظامي، جريدة الجزيرة، العدد ٢٤، ص١١.

(٣) الفايز، عبد العزيز محمد: مرجع سابق، ١١.

٣- البغيلة:

من أدوات العقاب قديما يعلق بواسطتها الطالب في وضع خاص ثم يقوم المطوع بضربه في أنحاء متفرقة من جسده(١).

طريقة العقاب بالفلكة:

يطرح الطالب أو الطفل على ظهره ويرفع رجليه، ثم يطلب المؤدب أو المعلم من أكبر الطلاب سناً أن يدخل قدمي الطالب الذي استحق العقاب بين الحبل والخشبة وتدار الخشبة فيدور معها الحبل حتى يضيق على قدمي الطالب حتى لا يخرجها من الفلكة إذا شعر بألم الضرب، ثم يمسك طالبان اثنان بطرفي الفلكة رافعين قدمي الطالب المعاقب وبعدها يقوم المؤدب بضرب الطالب على قدميه بالمصطعه أو الخيرزانه(٢)، وبعد الضرب يجبر على الركض حتى لا تتورم رجلاه لأنها قد تنتفخ من الضرب، وعادة يتغيب الطالب المعاقب في اليوم التالي، وعندما يلحق والد الطفل ابنه في حلقة الكتاتيب قديماً فإنه يقول للمؤدب أو المعلم: (لك اللحم ولنا العظام) أي أدبه وأضربه ونفرح بذلك، وعادة يحمل معلم الكتاتيب قلباً طيباً، حيث كان يتأنى أغلب المؤدبين في معاقبة الأطفال أو الطلاب ولا ينزلون عليهم العقاب مباشرة، بل استخدموا التدرج، فالذنب الأول يعفى منه ، ويعاتبه على الثاني عتاباً غير مباشر كأن يقول له: إن فعل كذا وكذا قبيح، والثالث يعاقب عليه عتاباً مباشراً، فإن عاد إلى ذلك ضرب ضرباً خفيفاً، لا شده فيه ولا أذية، إلا أن بعضهم اتصف بالشدة والصرامة فكان يعاقب

---

(١) الفايز: الكتاتيب في نجد، مرجع سابق، ص ١١.

(٢) انظر الشكل رقم ١ – ٢.

الطلاب على ابسط الأخطاء أو الحركات، كما كان يحمل بعضهم العصا في يده دائماً ويلوح بها يميناً وشمالاً ليرهب بها الطلاب الصغار، مما أدى إلى هرب الطلاب من الكتاب وكرههم لها أو التأخر على معلمهم، كما ولد لديهم عدم الرغبة في مواصلة دراستهم، وأصبحوا يفضلون الهروب إلى الشوارع للعب والمرح على الدراسة(١).

(١) ابن دهيش: الكتاتيب، ص ٤٩ – ٥٠.

ثانياً: المحتسب ومهامه فى مواجهة ظاهرة العنف فى الكتاتيب :

دور المحتسب في مراقبة المؤدبين:

قبل أن نتعرف على دور المحتسب في الحد من ظاهرة العنف وردع المعتدين من المؤدبين لابد وان نعرّف الحسبة ومهام المحتسب.

الحسبة لغة: مصدر احتسابك الأجر على الله. واحتسب فيه احتسابا، والاحتساب طلب الأجر، والحسبة حسن التدبير والنظر فيه(١)

في الشرع: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله(٢)

قال الله تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }(٣).

أهم مهام المحتسب وواجباته:

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس(٤)

---

(١) ابن منظور: اللسان،٢/٨٦٦-٨٦٧؛ الفيومي:احمد محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص٥٢

(٢) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، القاهرة، ١٣٩٣هـ، ص٢٤٠؛ القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي، صبح الاعشى في تاريخ الانشا، القاهرة، ١٣٣٢هـ،٥/٤٥١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) ابن تيميه: تقي الدين احمد، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية ، مكة، ص١١.

تنفيذ أوامر السلطان التي تصل في شكل مراسيم[١].

٢- إلزام المسلمين بارتياد صلاة الجماعة في مواقيتها، ويعاقب من لم يصل أما بالضرب والحبس وأما بالقتل، كما يلزمهم بإقامة الجمع[٢]

٣- التشدد مع المؤذنين، واختبارهم في أوقات الأذان.

٤- محاربة البدع والاتجاهات الشاذة والدخيلة على المجتمع الإسلامي.

٥- منع المتطفلين على العلم من التدريس كي لا يضللوا الناس[٣]

٦- الإشراف على الكتاتيب، واختيار معلميها، والتأكد من سلامتها، ومنع المدرسين من ضرب التلاميذ وإيذائهم[٤].

٧- الإشراف على الأسواق ليلا ونهارا، ومراقبة المكاييل والموازين، وذلك لمنع الغش والتلاعب في الأسعار والأوزان، ومن ثم الضرب بشده على يد كل من تسول له نفسه الغش والتلاعب في الصناعات والبياعات وغيرها[٥].

٨- إلزامه بنظافة الشوارع القريبة من المسجد الحرام والمسجد النبوي[٦].

---

(١) العز بن فهد : بلوغ القرى، ٨٢٨/٣.

(٢) ابن تيميه: الحسبة في الإسلام ، ص١٢.

(٣) لقبال: الحسبة المذهبية، ص٢٧.

(٤) ابن خلدون : المقدمة، ص٥٤٠؛ لقبال: الحسبة المذهبية، ص٢٧.

(٥) ابن تيميه: الحسبة في الإسلام، ص١٣

(٦) العز بن فعد : بلوغ القرى، ٨٢٧/٣

٩- الاحتساب على من يظهر على سطح الكعبة، وعلى سطح سائر المساجد ؛ لأن الظهور عليها مكروه، ولا يتخذ في المسجد بئر لماء، إلا ما كان قديما فانه يترك كبئر زمزم(١).

وكانت تفرض على المؤدبين رقابة صارمة من قبل المحتسبين وأباء الأطفال بشكل خاص، حيث أضيفت إلى وظيفة المحتسب مسئوليات أخرى فكان من سلطته مراقبة سلوك المعلمين لحملهم على الالتزام بآداب المهنة، كما كان المحتسب يعاقب أو يحيل إلى القضاء المعلم الذي يتسبب في ضرب مبرح للمتعلم أو الطالب، أو يصيب بالتلف أحد أعضاء جسده(٢)، ومع ذلك لم تكن تكتشف كل الحالات أو يتم ضبطها ولم يستطع المحتسب أن يقضي على كل المخالفات والانحرافات المهنية في التعليم، بل أحياناً نجدها تتحدى كل سلطه.

(١) السنامي: عمر بن محمد عوض، نصاب الاحتساب، تحقيق موئل عز الدين، ط١، دار العلوم،١٤٠٢هـ، ص٦٤

(٢) حسن: أمنية أحمد، رسالة المعلم في الإسلام ومدى فهم المعلمين لها في العصر الحديث، أبحاث مؤتمر المناهج التربوية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، القاهرة، ١٩٩٠م،ص٣١

وهذا يظهر جلياً فيما حدث لمؤدب الأيتام بمدرسة السلطان قايتباي[١]، محمد بن موسى الظاهري[٢]، فقد ضرب الأمير سودون الفقيه[٣]، مؤدب الأيتام ضرباً خفيفاً تحت رجليه، وسبب ذلك أن بعض الأيتام قد شكا إلى المحتسب قسوة المؤدب على الطلاب في الكتاتيب حيث يقوم بضربهم ضرباً مبرحاً، فما فرغ المحتسب من ضرب الظاهري، مؤدب الأطفال، صاح الظاهري: يا مسلمين أشهدوا أنني ما ضربت في حرام أو غيره، فتخوف المحتسب من مقولة المؤدب، وقال: تشتكي علي فأمر به، فضرب على مقاعده، وحُبس، فخلع باب الحبس، وتوجه إلى كاتب السر وشكا إليه، فأعطى كل واحد من الأيتام أربعة محلق[٤]، وقام المحتسب بمنع المؤدب من مباشرة عمله في مكتب الأيتام، إلا أنه أعيد مرة أخرى لمباشرة عمله، والسبب في عودته، هو اشتراط الواقف أن يكون الظاهري من المدرسين

(١) قايتباي: قايتباي المحمودي الأشرفي ولد عام ٨١٥هـ كانت خلافته حافلة بالحروب، امتد حكمه ١٨ عام، توفي عام ٩٠١هـ .الشوكاني: محمد بن علي،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، ٥٠/٢

(٢) محمد بن موسى الظاهري الشافعي، نزل مكة مع أبيه فنشأ محفظ القرآن والعمدة والمنهاج، ولا يعرف متى توفي، السخاوي: الضوء اللامع، ٥٦/٣

(٣) الأمير سودون الفقيه: هو سودون الظاهري برقوق الفقيه، كان كبير الجراكسة تلميذ للشيخ لاجين الجركسي، وكان أعجوبة في دعوى العلم والمعرفة، مات عام ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م، السخاوي : الضوء اللامع ٢٨٢/٣-٢٨٣.

(٤) محلق : نسبة إلى انه أصبح له حلق، وجمعه محلقات،وهو نوع من النقود الفضية التي ضربت في مكة؛ وهو في اصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير.ابن فهد: عمر بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى،ط١،جامعة أم القرى،١٩٨٨م،٤٩٩/٤.

في الكتاتيب[١].

ورغم ما تبينه الحدثة من مدى رعاية المسئولين عن الحرمين الشريفين وعطفهم على الأيتام، الاهتمام بهم، إلا أنه يؤخذ على الواقف اشتراطه أن يكون الظاهري من المدرسين، بل وإرجاعه لمباشرة عمله مرة أخرى، رغم ما يتصف به من قسوة في التعامل مع الأطفال[٢].

كما أتصف مؤدب الأطفال في المدينة المنورة محمد بن عبد الله السبتي[٣]. بقدرته على التعامل مع الصبيان، غير أنه كان يستخدم الشدة في معاملتهم بالتخويف والتهديد[٤].

ولابد أن المحتسب كان له دور كبير في ردع المؤدب من تخويف الطلاب وتهديدهم باعتباره مسئول عن مراقبة الكتاتيب وتصرفات وسلوكيات المؤدبين بها.

وهكذا يتضح وبشكل جلي مدى أهمية دور المحتسب في ردع بعض المؤدبين من إيذاء الطلاب ، حيث حمل على عاتقه الإشراف على

---

(١) العز بن فهد: عز الدين عبد العزيز، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ، ٢/٢٢١-٣، ٢٢٢/٧٧٠

(٢) الزهراني: عائض محمد عائض، التاريخ السياسى والحضاري لمكة من خلال كتاب نيل المنى، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٦٠٧-٦٠٨.

(٣) نسبة الى سبته وهي بلده مشهورة في بلاد المغرب، الحموي: ياقوت، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، ١٨٢/٣

(٤) المديرس: عبد الرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي،ط١،الرياض، ١٤٢٢هـ، ص٢٤٣.

الكتاتيب، واختيار معلميها، والتأكد من سلامتها، ومنع المدرسين من ضرب التلاميذ والتعدي عليهم بالضرب المبرح.

ومما لاشك فيه أن الحسبة نهج إسلامي قديم، يجعل حياة المسلمين حياة فاضلة، فالمحتسب مراقب حازم، ومرشد حاذق، في جميع شؤون الحياة سواء كانت اقتصاديه أو اجتماعيه، ومفتش عام فيما يخص الحياة الثقافية والمذهبية، كما أنه واعظ ومرشد ومناضل من أجل سيادة الحق وإزهاق الباطل[1].

(1) لقبال: الحسبة المذهبية، ص٧٨.

ثالثاً: الكتاتيب في الدولة السعودية:

ونتابع اهتمام الدول بالكتاتيب ومعلميها وطلابها، وولوهم جل اهتمامهم ورعايتهم، إلى أن قامت الدولة السعودية التي أخذت على عاتقها مسؤولية الاهتمام بالتعليم وتشجيع أولياء الأمور على تعليم أبناءهم ، فقد وجه قاضي سدير الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن العنقري (١٢٧٣ – ١٢٩٠هـ) كافة أهالي سدير وأمرائها على تعليم أبنائهم وحثهم على ذلك ودفع أجر معين بموجب وثيقة قد حدد فيها الأجر كما يلي:

١ – ريال واحد عند دخول الدارسين ويسمى دخاله.

٢ – نصف ريال عند إتمام جزء عم.

٣ – ربع ريال على كل جزء من أجزاء القرآن الكريم المتبقية.

٤ – عشرة ريالات عند ختم القرآن الكريم وتسمى الختامة.

٥ – وفي الصيف صاعين من البر.

٦ – وفي الصغرى خمس وزنات من التمر.

كما تم ضم الكتاتيب للمدارس ، ووضع لها القوانين والقواعد، وحرص الملك عبد العزيز رحمه الله كل الحرص على الاهتمام بالطلاب والارتقاء بالتعليم، باعتباره النواة الأولى لرقي وحضارة الشعوب، فقد أصدر أمر ملكي في عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م ينص على تشكيل لجنه للإشراف على الدروس في المسجد الحرام بمكة سواء في اختيار الكتب النافعة أو تعيين الأساتذة.

وكان الهدف من إنشاء هذه اللجنة أو هذا المجلس إن صح التعبير والذي أطلق عليه (مجلس المعارف)، الإشراف على تنفيذ السياسة التعليمية كلها وتنظيم مراحل التعليم ووضع نظام تعليمي في الحجاز[١].

ولقد تحددت مهام المجلس وصلاحياته كالتالي:

١- الموافقة على ميزانية المعارف.

٢- الموافقة على تعيين المعلمين وعزلهم عند الضرورة.

٣- وضع برامج التعليم ومناهجه وإقرارها.

٤- النظر في التقارير الواردة من المدارس واتخاذ ما يلزم بشأنها.

٥- اختيار الكتب المقررة.

٦- الإشراف على الامتحانات الخاصة بالمعلمين.

٧- تشجيع التأليف والترجمة ومنح المكافآت المناسبة.

٨- وضع الأنظمة المختلفة، والخاصة بالتعليم.

٩- النظر في حال الكتاتيب ومتابعتها والعمل على إصلاحها[٢].

وفي عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م أصدرت مديرية المعارف عددا من النظم التعليمية للمدارس، حيث نصت المادة (٦٥) من نظام المدارس على

---

(١) عبدالله: عبدالرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الفكر،١٣٩٢هـ، ص٨٩؛ الحقيل: سليمان عبدالرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة، ط١٤، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص١٣.

(٢) آل الشيخ: عبدالعزيز عبدالله، لمحات من التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية، ص١٨

منع العقاب في المدارس منعا باتا، وحدد النظام عقوبة التلاميذ كالأتي:

١- وقوف الطالب خارج المكان المخصص لجلوسه كعقوبة في حال الهفوات والأخطاء البسيطة.

٢- بالنسبة للمخالفات الكبيرة كانت عقوبتها أما التوبيخ الانفرادي، أو التوبيخ أمام التلاميذ، أو منع الطالب من الفسحة مع تكليفه بعمل إضافي، أو الحجز في المدرسة بعد الانتهاء من الدرس.

وفي حال كان خطأ الطالب فادحا فكان يعاقب عليه بالطرد المؤقت أو النهائي.

وفي عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م طلب مدير المدرسة الابتدائية بالمدينة المنورة من مدير المعارف العامة، وضع الكتاتيب الخاصة بالطلاب تحت إشراف المديرية العامة، ليكون وضع الكتاتيب أكثر تنظيماً ورسمياً مع توجيه تعليم أساتذتها طرق التدريس الحديثة وإلزامهم باتباعها[١]، وقد وافق مدير التعليم على هذا الطلب، فأمر بالإشراف على التعليم في الكتاتيب، كما تم تحديد اختبار نصفي للطلاب في الكتاتيب في عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م[٢].

ولم يتم الاكتفاء بذلك بل وتأكيدا على عدم اتخاذ العنف في الكتاتيب والمدارس صدر قرار آخر في عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م يقضي بمنع الضرب في المدارس، ومن يتجرأ من المدرسين على مخالفته فسيتم تطبيق

(١) الحقيل: نظام وسياسة التعليم، ص١٧.

(٢) وزارة المعارف، النشرة التربوية، العدد الرابع، ربيع أول ١٣٩١هـ، ص١٠٤.

النظام في حقه، بل ويتخذ ضده الجزاء الصارم دون تردد[١].

كما اهتمت المملكة العربية السعودية بتعليم الفتيات والنساء حيث انتشرت الكتاتيب بشكل كبير في الحجاز، وخاصة في مكة، وجدة، والمدينة المنورة، خاصة إذا عرفنا أنه مع ظهور مدارس البنين الرسمية، في عهد الملك عبد العزيز، تناقصت كتاتيب البنين، بينما ازداد عدد الكتاتيب الخاصة بالبنات، وهي لا تختلف عن مكاتب الصبيان في منهجها وطرق التعليم بها، وعادة يطلق على معلمة الفتيات في الكتاتيب (الخوجه)، وغالباً ما تمتاز الخوجة بأخلاقها، وسماحتها، وعدم انتهاجها القسوة والضرب مع الطالبات، غير أن بعض الخواجات كن يحملن الخيزران، كما استخدمت بعضهن الفلكة لعقاب الطالبات[٢].

ويتضح مما سبق أنه لابد وأن يتأنى المعلم أو المؤدب في معاقبة الأطفال سواء في الكتاتيب أو المدارس ولا ينزل عليهم العقاب مباشرة ، بل يستخدم التدرج ، فالذنب الأول يعفى منه، ويعاتبه على الثاني عتابا غير مباشر كأن يقول له: إن فعل كذا وكذا قبيح، والثالث يعاتب عليه عتابا مباشرا، فان عاد إلى ذلك ضرب ضربا خفيفا لا شدة فيه ولا أذية، كما ينبغي عليه مكافأته على الجميل، وأن يأذن له في بعض الأوقات باللعب ليستريح من تعب الأدب والتعليم[٣].

---

(١) الحقيل. نظام وسياسة التعليم، ص ١٧-١٨٨.

(٢) الظهار: نجاح بنت محمد، بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة ، ص٥. انظر الشكل ٣ – ٤.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق في التربية، ص٥٢-٥٣؛ شلبي: أحمد موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ط٦، مصر، ١٩٧٨م، ٢٧٢/٥.

نتائج الدراسة

١- ظهرت الكتاتيب قبل بزوغ فجر الإسلام ، ومع انتشار الإسلام واتساع رقعته ، انتشرت الكتاتيب ، وأصبحت من أهم مراكز تعليم الأطفال خاصة بعد أن بدت الحاجة إليها ماسّه في ظل حث الإسلام وتشجيعه للعلم والعلماء .

٢- كانت الغاية الأساسية من إنشاء الكتاتيب هي تحفيظ الصغار للقرآن الكريم ، إضافة إلى عرض السور القصار منه ، ومعرفة الخط ، وبعض متون الأحاديث وعقائد السنن وأصول الحساب وغيرها.

٣- اهتم الواقفون بتعليم الأطفال في الكتاتيب اهتماما بالغا، فجعلوا له نظاما خاصا به يضمن مدى استفادة الطلاب.

٤- تناول الكثير من علماء التربية المسلمين والمؤرخين أهم الأسس والمبادئ التي تقوم عليها مهنة التدريس، نظرا لتفشي بعض الانحرافات في هذه المهنة، كضرب الأطفال وتعنيفهم أو التطاول عليهم باللفظ والتجريح.

٥- ظهرت الكثير من أدوات العقاب في العصر المملوكي مثل الفلكه أو الفلقه والمصطعه والبغيله.

٦- كانت الفلقة أو الفلكة والعصا هما وسيلة العقاب للطالب أو الطفل المخطئ، كما إن بعض المؤدبين كانوا يحملون العصا في يدهم لترهيب الصغار فلا عجب إذا هرب الطلاب من الكتّاب وكرهوه وفضلوا اللعب في الشوارع والمرح على الدراسة.

٧- لعب المحتسبون دورا مهما وبارزا في ردع بعض المؤدبين الخارجين عن قوانين ونظم التعليم.

٨- عادة ما يحمل مؤدبي الكتاتيب قلبا طيبا ولينا في تعاملهم مع الأطفال إلا إن بعضهم اتصف بالشدة والصرامة في معاقبة الأطفال على أبسط الأمور.

٩- تتابع اهتمام الدول بالكتاتيب وطرق التعليم بها عبر العصور المختلفة، وولوا الطلاب جلّ اهتمامهم ورعايتهم.

١٠-منذ أن وحد الملك عبد العزيز رحمه الله أرجاء الدولة، سعى إلى تطوير وتنظيم مرافقها المختلفة ووجه جلّ اهتمامه إلى التعليم فأسس في عام ١٣٤٤هـ جهازاً خاصا يهتم بالإشراف على التعليم وتنظيمه وهو مديرية المعارف العامة .

١١-تم ضم الكتاتيب في عهد الملك عبد العزيز للمدارس، ووضعت لها القوانين والقواعد التي جعلتها أكثر تنظيما ورسميه.

١٢-تم تشكيل لجنه للإشراف على الدروس في المسجد الحرام، كانت مهمتها تعيين المعلمين الأكفاء، واختيار الكتب النافعة.

١٣-تم تحديد مهام مجلس المعارف مما أدى إلى وضوح السياسة التعليمية في تلك الفترة.

١٤-أصدرت مديرية المعارف عددا من النظم التعليمية والتي كان من أهمها النظام الذي نص على منع العقاب في المدارس.

١٥-تأكيدا على منع العنف في المدارس ، صدر قرار في عام ١٣٥٦هـ يقضي بمنع الضرب في المدارس ومعاقبة من يتجرأ من

المدرسين على مخالفته.

١٦-كما اهتمت المملكة العربية السعودية بتعليم البنين، اهتمت أيضاً بتعليم الفتيات، وقد انتشرت الكثير من الكتاتيب في مكة وجده والمدينة المنورة، وهي لا تختلف عن كتاتيب البنين.

١٧-عادة ما تمتاز معلمة الفتيات في الكتاتيب (الخوجة) بأخلاقها وسماحتها، ولكن هذا لا يمنع وجود بعض الخوجات اللاتي تميزن بالقسوة والشدة في تعاملهن مع الفتيات ، بل واستخدامهن للفلكة كعقاب للطالبات.

توصيات الدراسة

١- الاهتمام بالتعليم فى الكتاتيب وتدريس العلوم الدينية الصحيحة لما للكتاتيب من دور هام فى تعليم النشئ القرآن الكريم.

٢- ضرورة إعدد معلمى الكتاتيب وتدريبهم لإيجاد القدرة لديهم على إخراج جيل جديد وأن يكونوا معلمى الكتاتيب على قدر وكفاءة لتعليم الأطفال.

٣- الاهتمام بصحيح الدين من جانب معلمى الكتاتيب لمواجهة الفكر المتطرف والأفكار الخاطئة والمتشددة.

٤- غرس الدراسة الدينية فى نفوس الأطفال وترغيبهم فى دراسة القرآن الكريم وعلوم الدين.

٥- معاقبة المخطئين من الأطفال مع مراعاة ألا يقع أذى نفسى أو بدنى عليهم نتيجة للعقاب.

الملحق رقم (١)

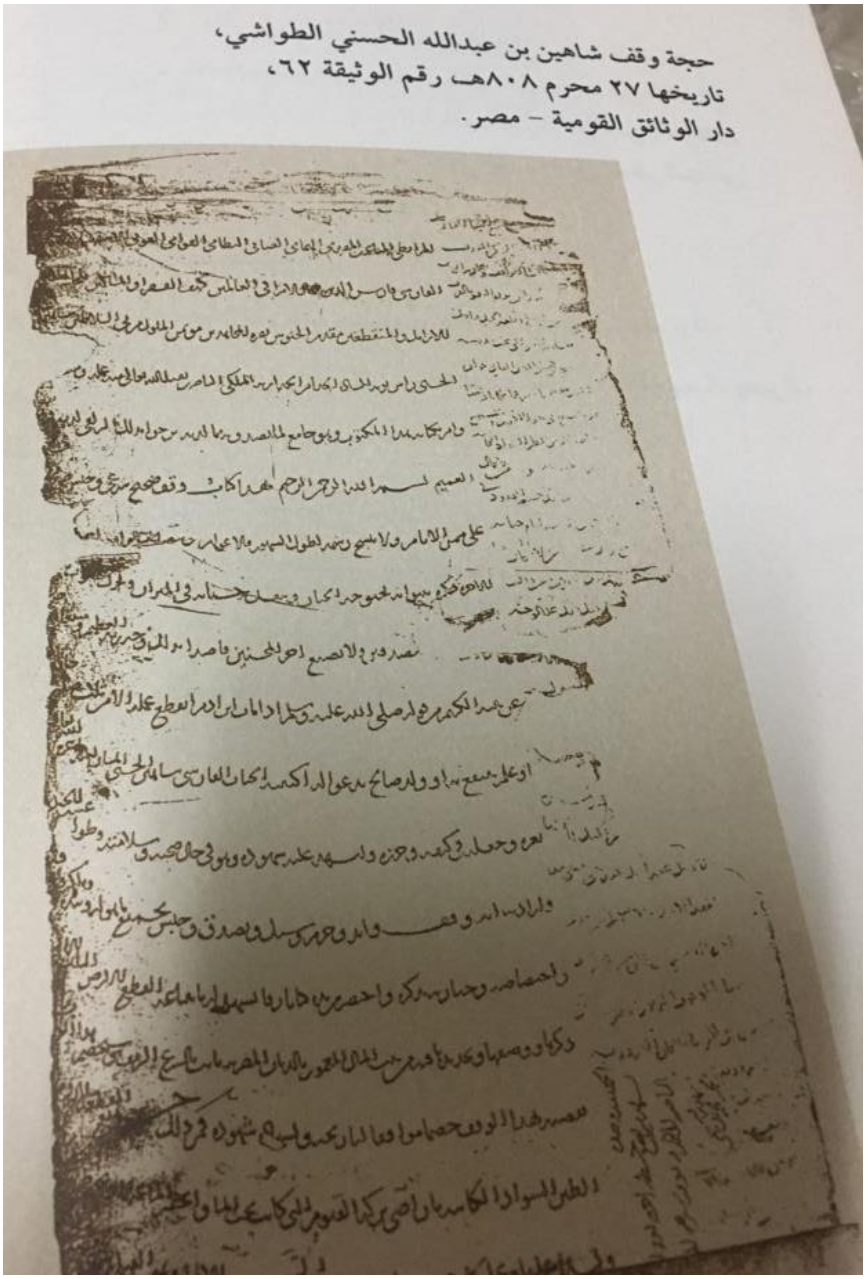

حجة وقف شاهين بن عبدالله الحسني الطواشي،
تاريخها ٢٧ محرم ٨٠٨هـ رقم الوثيقة ٦٢،
دار الوثائق القومية – مصر.

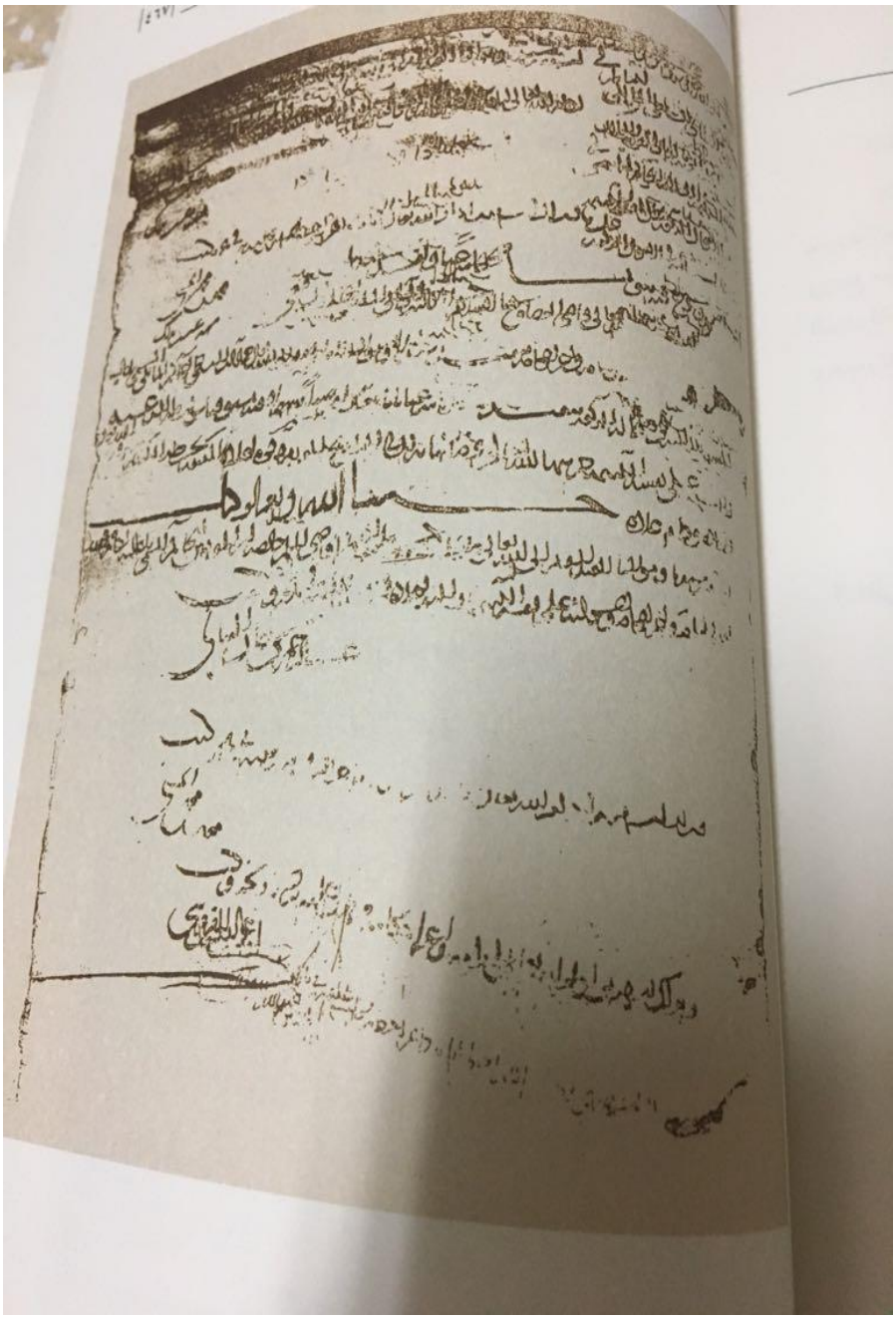

الشكل رقم (١)

الشكل رقم (٢)

الشكل رقم (٣)

الشكل رقم (٤)

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١- ابن الأخوة: محمد بن أحمد، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٢- ابن تيميه: تقي الدين أحمد، الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية، مكة.

٣- ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤- ابن سحنون : أبو عبدالله محمد، آداب المعلمين، تونس،١٣٩٢ هـ/١٩٧٢م.

٥- ابن فهد: عمر بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م.

٦- ابن مسكويه: أبي عبدالله أحمد، تهذيب الأخلاق ، تحقيق عماد الهلالي، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، ٢٠١١م.

٧- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر- بيروت، بدون ذكر سنة الطبع.

٨- الحموي : ياقوت، معجم البلدان، دار صادر – بيروت، دت

٩- السبكي : تاج الدين عبدالوهاب، معيد النعم ومبيد النقم ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي – مصر، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

١٠- السخاوي : محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الطبعة الأولى، دار مكتبة الحياة - بيروت ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١- الشوكاني: محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي. دون ذكر سنة الطبع

١٢- العز بن فهد: عبدالعزيز بن عمر، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبدالرحمن أبو الخيور، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

١٣- الغزالي: أبو حامد محمد، احياء علوم الدين،الطبعه الأولى،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٤- الفيومي: أحمد محمد، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

١٥- القلقشندي: أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

١٦- الماوردي: أبو الحسن علي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الطبعة الثالثة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي - القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ثانيا : المراجع العربية

١- ال الشيخ : عبدالعزيز عبدالله، لمحات من التعليم وبداياته في المملكة.

٢- الحقيل: سليمان عبدالرحمن، نظام وسياسة التعليم في المملكة، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٢٣هـ

٣- حلاق: حسان علي، الإدارة المحلية – المحتسب، الدار الجامعية للطباعة والنشر – بيروت، ١٩٨٠م

٤- حسن: أمنية أحمد، رسالة المعلم في الإسلام ومدى فهم المعلمين لها في العصر الحديث، أبحاث مؤتمر المناهج التربوية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة، القاهرة، ١٩٩٠م،

٥- بن دهيش: عبد اللطيف، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦- السنامي: عمر بن محمد، نصاب الاحتساب، تحقيق موئل عز الدين، الطبعة الأولى، دار العلوم ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧- القحطاني: راشد سعد، أوقاف الأشراف شعبان على الحرمين، الرياض، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

٨- لقبال: موسى، الحسبة المذهبية ، الطبعة الأولى، الجزائر، ١٩٧١م.

٩- قمبر: محمود، مهنة التعليم في التراث العربي، بدون ذكر سنة الطبع.

١٠- الفايز: عبد العزيز محمد، الكتاتيب في نجد قبل التعليم النظامي، جريدة الجزيرة، العدد ٢٤.

١١- عبدالله: عبدالرحمن صالح، تاريخ التعليم في مكة، دار الفكر، ١٣٩٢هـ.

١٢ - المباركي: فاطمة محمد، الوظائف في الحرم المكي في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، مركز تاريخ مكة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

١٣- المديرس: عبدالرحمن، المدينة المنورة في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ٢٠٠١م.

١٤- وزارة المعارف، النشرة التربوية، العدد الرابع، ربيع أول ١٣٩١هـ.

١٥- الظهار: نجاح بنت محمد، بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة ، بدون ذكر سنة الطبع.

١٦- شلبي: أحمد، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ط٦، مصر، ١٩٧٨م.

١٧- الزهراني: عائض محمد عائض، التاريخ السياسي والحضاري لمكة من خلال كتاب نيل المنى، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة أم القرى،١٤١٩هـ/١٩٩٩م.